في الحالتين ، ايديولوجيا قومية منغلقة · تستند في أساسها الى التوراة (العهد القديم) · والغريب ، ان السفير الاسرائيلي في جنوب افريقيا هو الذي يذكر هذه الناحية المشتركة في المقابلة التي اشرنا اليها :

··· نملك ارثا مشتركا هو التوراة · ولا اريد ان اخفف من أهمية هذه المسألة · ونلاحظ ان الافريقيين يقارنون عادة بين « التريك الكبير » الذي قاد اجدادهم من المنطقة التي كانت تحت السيطرة البريطانية الى الترنسفال وبين خروج اليهود من مصر (٦) » ·

تكونت « القومية المسيحية » الخاصة بالافريقيين ، خلال الملحمة التي عاشها هؤلاء الفلاحون الهولنديون الذين ينتسبون الى مذهب الكالفين · والذين نقلوا معهم مجتمعهم البطريركي الى افريقيا الجنوبيـــة · فتبنوا بعض مفاهيم التوراة الخاصة « بالشعب المختار » و« ارض الميعاد » · واتخذوا لانفسهم لغة خاصة بهم · وهم يفسرون بقاءهم هناك ، رغم التجارب العصيبة التي مروا بها ، « بالهبة الالهية » التي ينعمون بها ، بوصفهم امل الحضارة الغربية في افريقيا (مالان ١٩٣٨) ·

يحلل البروفسور فيركويل هذه الظاهرة كما يلي : « تستند عقيدة التمييز العنصري Aperthied على اندفاع ايديولوجي اتخذ شيئا فشيئا شكلا شبه ديني بما فيه من اساطير وطقوس واخلاق وثقافة خاصة به · وهذا يعود الى مفهوم « القومية الافريقانية المنفصلة » التي تتماثل بالحضارة الغربية · تتغلب الاعتبارات القومية في هذه النظرية بشكل واضح على الاعتبارات المتأثرة بالمسيحية (٧) » ·

لقد ادت هذه « الهرطقة » ، وخاصة في نوعية المجتمع الذي تجسدت فيه ، ادت الى الانفصال عن الكنيسة « الهولندية ـ الاصلاحية » ، التي شكلت سابقا الضمانة الايديولوجية لنظام جنوب افريقيا · ومع مجلس الكنائس العالمي في جنيف ·

يجب ان نشير هنا ، الى ان ممثلي الكنائس المسيحية الاخرى الموجودة في جنوب افريقيا (الميتودية ، اللوثرية ، الانكليكانية والكاثوليكية) يتعرضون للاضطهاد والمنفى والسجن ومنع النشر ، نتيجة موقفهم المعادي للايديولوجيا العنصرية · ويتزايد القمع حاليا على هذه الاوساط ، وخاصة على « المؤسسة المسيحية » ، التي كانت ضحية القمع منذ تأسيسها عام ١٩٦٣ ·

لن نذكر هنا بالنصوص والروايات التوراتية التي يستند الصهاينة الى تأويلاتها لتبرير « حقوقهم التاريخية » على ارض فلسطين · هذه التأويلات التي تتجاهل النظرة الكونية التي للدين اليهودي · ودون الدخول في نقاش حول صحة هذه النصوص التاريخية · يكفي ان نذكر بما يقوله روجيه غارودي عن الروايـــة التاريخية التي تلقن للشبيبة الاسرائيلية · (ندوة بغداد حول الصهيونية · ٨ ـ ١١ تشرين ثاني ١٩٧٦) ·· « كيف يمكن ان لا نستبقي من تاريخ هذه المنطقة ـ منطقة مرور واختلاط شعوب عديدة ـ الا مراحل منها فقط · هجرة ابراهيم بين هجرات عديدة اخرى ، مملكة داوود من ضمن ممالك عديدة اخرى او ثورة المكابيين من ضمن ثورات عديدة اخرى » ·

حتى لو قبلنا ، يقول العالم اللاهوتي دو بوري ، مواقف الاصوليين التي تستند على النصوص الحرفية ، وحتى لو سلمنا بصحة جميع روايات التوراة ، فهل يمكننا الاستشهاد بها لتبرير العنصرية · وينهي دراسته هذه قائلا : « لا يمكننا ان نفهم الكيفية التي يعتبر فيها بعض المسيحيين ان وعود العهد القديم هي دليل على شرعية المطالب التوسعية الاسرائيلية (٨) ·»